النِّسَاءُ فِي القُرْآنِ

أُمُّ جَمِيلٍ

حَمَّالَةُ الحَطَبِ

تأليـــف: محمـد المطارقـي
رســـوم: محمـــد نبيـــل
تدقيـــق: قسم اللغة بالدار
إشراف فني وجرافيك: سمـر قنـاوي

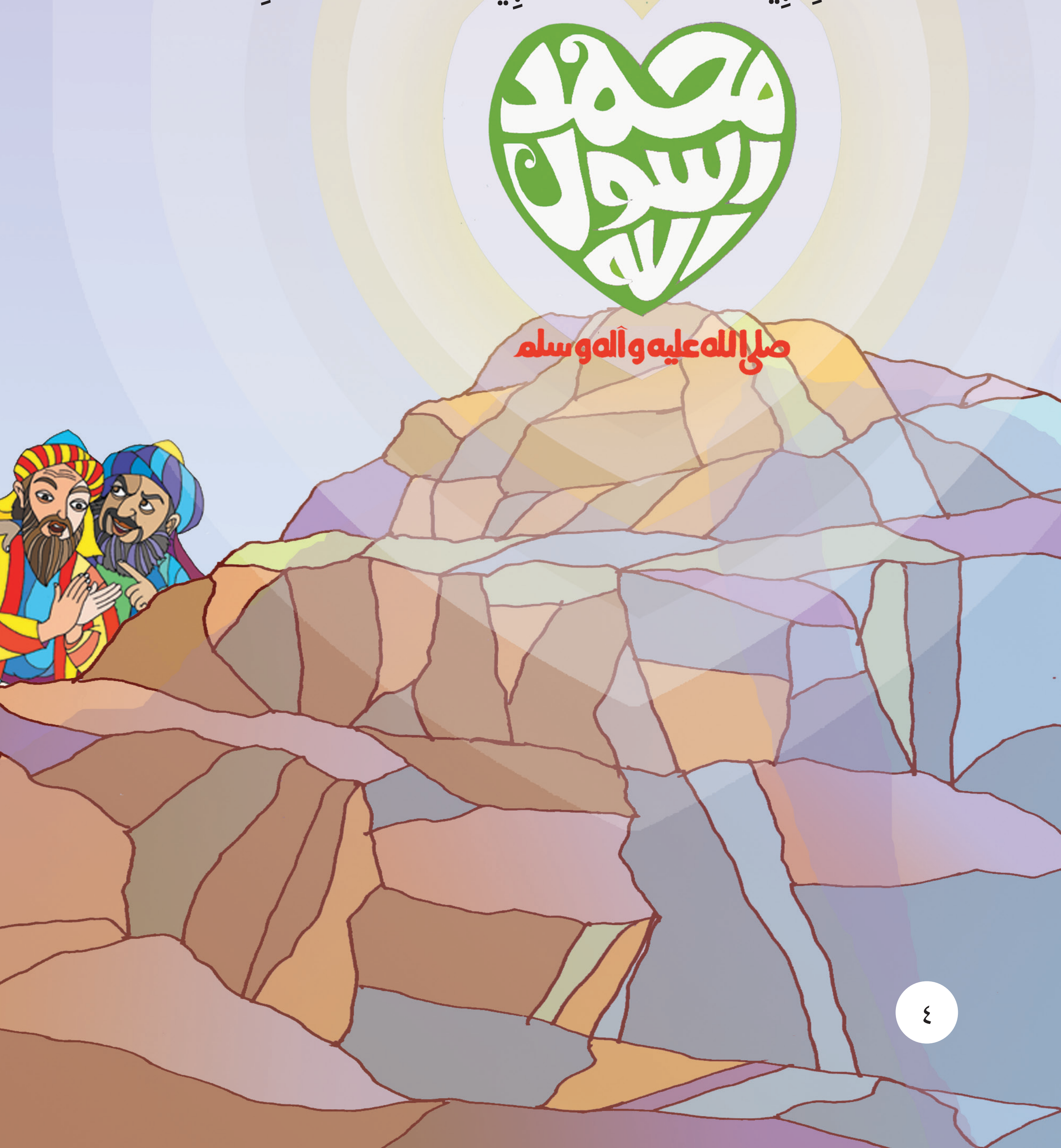
المطارقي، محمد.
أم جميل
تأليف/ محمد المطارقي، ـ الجيزة
شركة ينابيع، ٢٠١٦
ص؛سم ـ (سلسلة النساء في القرآن)
تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٤٩٨ ٣ ٦٥٨
١- قصص الأطفال.
٢-قصص القرآن
٣- النساء في القرآن
أ- العنوان: ١١ش الطوبجي-الدقي-الجيزة
رقم الإيداع: ١٠١٧٩/ ٢٠١٦

كَانَ العَرَبُ وَعَلَى رَأْسِهِمْ أَهْلُ مَكَّةَ يَتَّصِفُونَ بِصِفَاتٍ جَمِيلَةٍ وَرَائِعَةٍ كَالشَّجَاعَةِ.. الْـمُرُوءَةِ.. الكَرَمِ وَالجُودِ.. الوَفَاءِ بِالعَهْدِ.. الفَصَاحَةِ.. وَغَيْرِهَا مِنَ الصِّفَاتِ النَّبِيلَةِ. لَكِنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ كَانَ يَغْلُبُ عَلَيْهَا ـ بِكُلِّ أَسَفٍ ـ صِفَاتٌ أُخْرَى قَبِيحَةٌ وَشِرِّيرَةٌ كَارْتِكَابِ الفَوَاحِشِ.. العَصَبِيَّةِ العَمْيَاءِ.. شُرْبِ الخُمُورِ.. لَعِبِ الْـمَيْسِرِ. وَكَانُوا يَسْتَحِلُّونَ الخَبَائِثَ، وَيَفْعَلُونَ الْـمُنْكَرَاتِ، وَيَقْتُلُونَ



البَنَاتِ، وَيَأْكُلُ القَوِيُّ مِنْهُمُ الضَّعِيفَ.. وَكَانَتِ الحُرُوبُ الطَّاحِنَةُ تَنْشَبُ بَيْنَ القَبَائِلِ لأَتْفَهِ الأَسْبَابِ، وَقَدْ تَطُولُ الحَرْبُ سَنَوَاتٍ وَسَنَوَاتٍ.. حَتَّى تَكَادَ تَقْضِي عَلَى الأَخْضَرِ وَاليَابِسِ، وَتُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ. فِي هَذَا الجَوِّ الأَسْوَدِ القَاتِمِ.. الـمُعَبَّأ بِكُتَلِ الغُيُومِ، كَانَ الكَوْنُ بِأَسْرِهِ يَتَهَيَّأُ لاسْتِقْبَالِ أَكْرَمِ مَخْلُوقٍ.. كَانَتِ النُّجُومُ فِي السَّمَاءِ يَزْدَادُ بَرِيقُهَا وَلَـمَعَانُهَا.. وَالجِبَالُ الشَّامِخَاتُ بِرَغْمِ حُزْنِهَا وَأَسَفِهَا لأَفْعَالِ البَشَرِ كَانَتْ تَتَعَانَقُ صُخُورُهَا فِي حُبٍّ، وَيَسْرِي بَيْنَ صُخُورِهَا الصَّلْدَةِ شُعُورٌ بِالسَّعَادَةِ؛ لأَنَّ هُنَاكَ نَبِيًّا هُوَ أَعْظَمُ مَخْلُوق عَلَى هَذِهِ الأَرْضِ سَوْفَ يَتَغَيَّرُ العَالَـمُ كُلُّهُ عَلَى يَدَيْهِ، وَيَتَحَوَّلُ مِنَ الظَّلامِ إِلَى النُّورِ.. إِنَّهُ خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ وَالْـمُرْسَلِينَ.. رَسُولُ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ ﷺ.

كَانَتِ الدَّعْوَةُ فِي بِدَايَتِهَا سِرِّيَّةً.. فَرْدِيَّةً.. يَدْعُو النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا الأَشْخَاصَ الَّذِينَ يَتَوَسَّمُ فِيهِمُ العَقْلَ وَالاسْتِعْدَادَ لاعْتِنَاقِ الإِسْلامِ.. بَعِيدًا عَنْ أَعْيُنِ الْـمُشْرِكِينَ.. وَكَانُوا يَجْتَمِعُونَ فِي دَارِ الأَرْقَمِ بنِ أَبِي الأَرْقَمِ.. فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُهُمُ الإِسْلامَ كَمَا



عَلَّمَهُ اللهُ.. وَيُحَفِّظُهُمُ السِّوَرَ القُرْآنِيَّةَ الَّتِي نَزَلَتْ عَلَيْهِ.. ثُمَّ بَدَأَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْلِنُ الدَّعْوَةَ.. وَيَنْشُرُهَا جَهْرًا.

لَـمَّا نَزَلَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين﴾ صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى جَبَلِ الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ.. يَا بَنِي عَدِيٍّ..» لِبُطُونِ قُرَيْشٍ، حَتَّى اجْتَمَعُوا.

فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَبَعْضٌ مِنْ قُرَيْشٍ.. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا. قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، مَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِـهَذَا!!



وَعَادَ عَبْدُ العُزَّى (أَبُو لَهَبٍ) إِلَى بَيْتِهِ وَقَدِ ارْتَسَمَتْ عَلامَاتُ الغَضَبِ عَلَى مَلامِحِ وَجْهِهِ.. وَفِي البَيْتِ اسْتَقْبَلَتْهُ زَوْجَتُهُ «أُمُّ جَمِيلٍ» بِلَهْفَةٍ وَسَأَلَتْهُ: مَاذَا أَرَادَ مُحَمَّدُ بنُ أَخِيكَ يَا عَبْدَ العُزَّى؟ لَعَلَّ هُنَاكَ مَالًا سَيَعُودُ عَلَيْنَا! وَلَكِنَّهَا حِينَ نَظَرَتْ إِلَيْهِ وَوَجَدَتْهُ مُكْفَهِرَّ الوَجْهِ شَعَرَتْ بِالتَّوَجُّسِ .. فَقَالَتْ بِحِدَّةٍ: انْطِقْ يَا رَجُل.

قَالَ أَبُو لَهَبٍ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدٌ أَنَّهُ صَارَ نَبِيًّا، جَاءَ بِدِينٍ جَدِيدٍ، وَيُرِيدُ مِنَّا أَنْ نَتَّبِعَهُ..

امْتَلأَ قَلْبُ أُمِّ جَمِيلٍ بِالْحِقْدِ وَالبُغْضِ وَقَالَتْ بِغَضَبٍ: نَتَّبِعُهُ؟! أَتَصِيرُ يَا أَبَا لَهَبٍ تَابِعًا لِـمُحَمَّدٍ؟

كَانَتِ السَّيِّدَتَانِ الطَّاهِرَتَانِ رُقَيَّةُ وَأُمُّ كُلْثُومٍ ابْنَتَا النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ مُتَزَوِّجَتَينِ مِنْ ابْنَي أَبِي لَهَبٍ عَمِّ أَبِيهِمَا؛ وَهُمَا عُتْبَةُ وَعُتَيْبَةُ.. وَكَانَتْ أُمُّ جَمِيلٍ - وَهِيَ



حَمَاتُهُمَا - تُبْغِضُهُمَا أَشَدَّ البُغْضِ؛ لأَنَّ قَلْبَهَا الأَسْوَدَ قَدِ انْطَوَى عَلَى الشَّرِّ، فَكَانَتْ تُكَلِّفُهُمَا فَوْقَ طَاقَتِهِمَا، وَتُسِيءُ مُعَامَلَتَهُمَا. فَلَمَّا عَلِمَتْ أَنَّ مُحَمَّدَ بنَ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَدْ صَارَ نَبِيًّا شَعَرَتْ بِالغَيْظِ يَأْكُلُ قَلْبَهَا، فَاشْتَدَّ أَذَاهَا لَهُمَا أَكْثَرَ.. وَكَانَتْ بِسَلاطَةِ لِسَانِهَا تَحْتَدُّ عَلَيْهِمَا.. وَتُطْلِقُ سِهَامَهَا الـمَسْمُومَةَ بِدُونِ سَبَبٍ.



لَـمْ تَكُنْ أُمُّ جَمِيلٍ امْرَأَةً جَمِيلَةً، بَلْ كَانَتْ رَمْزًا لِلْقُبْحِ بِكُلِّ مَعَانِيهِ: قُبْحُ الشَّكْلِ.. قُبْحُ القَلْبِ.. قُبْحُ اللِّسَانِ.. كَانَتْ حَادَّةَ الـمَلامِحِ.. لَهَا وَجْهٌ صَلْدٌ، وَلَعَلَّ قَلْبَهَا الأَسْودَ الَّذِي يَمْتَلأُ بِكُلِّ صُنُوفِ الشَّرِّ قَدِ انْعَكَسَ عَلَى مَلامِحِ وَجْهِهَا، فَصَارَتْ أَشْبَهَ بِشَيْطَانَةٍ.. تَنْفُثُ سُمَّهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ تَجْلِسُ فِيهِ، وَكَانَتْ تَسِيرُ بِالغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ بَيْنَ نِسَاءِ مَكَّةَ.. وَكَانَتْ أَكْثَرَ امْرَأَةٍ تُعْرَفُ بِالْبُخْلِ الشَّدِيدِ، حَتَّى إِنَّهَا



كَانَتْ تَقُومُ بِحَمْلِ الحَطَبِ بِنَفْسِهَا ـ وَهِيَ الغَنِيَّةُ؛ الْـمَعْرُوفَةُ بِكَثْرَةِ مَالِهَا - حَتَّى لا تُكَلِّفَ نَفْسَهَا دَفْعَ أُجْرَةٍ لأَحَدٍ.. حَتَّى وَلَوْ كَانَتْ قَلِيلَةً.

لَـمْ تَشْعُرْ أُمُّ جَمِيلٍ بِالرَّاحَةِ لَحْظَةً وَاحِدَةً مُنْذُ عَلِمَتْ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكَانَتْ تَقُولُ دَائِمًا: لِـمَاذَا لَـمْ تَنْزِلِ الرِّسَالَةُ عَلَى زَوْجِي، فَهُوَ أَوْفَرُ مَالًا، أَلَيْسَ سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ مَكَّةَ الكِبَارِ؟! وَهُوَ أَحَدُ أَشْرَافِهَا الْـمَعْدُودِينَ. ثُمَّ كَيْفَ تَقْتَنِعُ أُمُّ جَمِيلٍ بِكَلامِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي يُسَاوِي بَيْنَ السَّادَةِ وَالعَبِيدِ؟! كَيْفَ يَتْرُكُونَ عِبَادَةَ الأَصْنَامِ؟! أَلَيْسَتْ هِيَ الآلِهَةُ الَّتِي تَجْلِبُ لَهُمُ الخَيْرَ؟! فَالنَّاسُ يَأْتُونَ مِنْ خَارِجِ مَكَّةَ يُقَدِّمُونَ إِلَيْهَا الهَدَايَا وَالقَرَابِينَ.. وَأَبُو لَهَبٍ يَنَالُهُ الشَّيءُ الكَثِيرُ.. كُلُّ ذَلِكَ الخَيرِ سَيُحْرَمُونَ مِنْهُ.



ضَاقَتْ أُمُّ جَمِيلٍ نَفْسًا بِالنَّبِيِّ ﷺ وَدَعْوَتِهِ.. وَرَاحَتْ تَتَعَاوَنُ مَعَ إِبْلِيسَ فِي وَضْعِ خُطَّةٍ مُحْكَمَةٍ تَشْغَلُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ دَعْوَتِهِ.. وَقَدِ اسْتَطَاعَتْ بِالْفِعْلِ الوُصُولَ إِلَى خُطَّةٍ شَيْطَانِيَّةٍ سَوْفَ تُلْحِقُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَزَوْجَتِهِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ الحُزْنَ وَالأَلَمَ.. قَالَتْ لِزَوْجِهَا: اشْغَلُوا مُحَمَّدًا بِبَنَاتِهِ.. فَإِذَا قَامَ عُتْبَةُ وَعُتَيْبَةُ بِتَطْلِيقِ رُقَيَّةَ وَأُمِّ كُلْثُومٍ فَسَوْفَ يَنْشَغِلُ مُحَمَّدٌ عَنْ دَعْوَتِهِ.

أَعْجَبَتِ الفِكْرَةُ أَبُولَهَبٍ، فَقَامَ مِنْ فَوْرِهِ وَعَرَضَهَا عَلَى كُبَرَاءِ مَكَّةَ، فَاسْتَحْسَنُوا الفِكْرَةَ وَأَثْنُوا عَلَى أُمِّ جَمِيلٍ خَيْرًا.

أَمَرَتْ أُمُّ جَمِيلٍ وَلَدَيْهَا بِتَطْلِيقِ زَوْجَتَيْهِمَا، وَضَغَطَتْ عَلَيْهِمَا،



فَامْتَثَلا لأَمْرِهَا وَنَفَّذا لَهَا مَا أَرَادَتْ..

صَبرَتِ السَّيِّدَةُ رُقَيَّةُ وَالسَّيِّدَةُ أُمُّ كُلْثُومٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَتَحَمَّلَتَا كُلَّ صُنُوفِ الأَذَى مَعَ أَبِيهِمَا ﷺ وَأُمِّهِمَا خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.. وَكَانَتْ بَنَاتُ النَّبِيِّ ﷺ جَمِيعًا يُشَارِكْنَ أُمَّهُنَّ التَّخْفِيفَ عَنْ أَبِيهِمْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى أَكْرَمَهُنَّ اللهُ ﷻ.

وَتَزَوَّجَتِ السَّيِّدَةُ رُقَيَّةُ بِالصَّحَابِيِّ الجَلِيلِ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ -رضي الله عنه- أَحَدِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ.. فَلَمَّا مَاتَتْ تَزَوَّجَ أُخْتَهَا أُمَّ كُلْثُومٍ، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لُقِّبَ بِذِي النُّورَيْنِ.



كَانَتْ أُمُّ جَمِيلٍ تُحَرِّضُ زَوْجَهَا عَلَى إِيذَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَبُثُّ سُمُومَهَا فِي قَلْبِهِ.. فَكَانَ أَبُولَهَبٍ يَمْتَثِلُ لِكَلامِهَا، وَيَعْمَلُ جَاهِدًا عَلَى أَذَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى البَيْتِ لِيَحْكِيَ لَهَا عَنِ الـمَوَاقِفِ وَالأَحْدَاثِ الَّتِي حَدَثَتْ لَهُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ.

كَانَ أَبُو لَهَبٍ يَسِيرُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ.. يَتَتَبَّعُهُ خُطْوَةً.. خُطْوَةً.. وَكُلَّمَا تَوَجَّهَ ﷺ إِلَى قَوْمٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ الوَاحِدِ الأَحَدِ صَاحَ أَبُولَهَبٍ: لا تُصَدِّقُوهُ.. إِنَّهُ كَاذِبٌ.. لا تُصَدِّقُوهُ. فَيَنْصَرِفُ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُمْ يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُ صَادِقٌ لَكَانَ أَوْلَى النَّاسِ بِهِ عَمُّهُ. كَانَتْ أُمُّ جَمِيلٍ تَشْعُرُ بِالسَّعَادَةِ وَالـمُتْعَةِ وَهِيَ تَعْمَلُ عَلَى إِيذَاءِ النَّبِيِّ ﷺ.. فَقَدْ كَانَتْ تَقُومُ بِجَمْعِ الأَشْوَاكِ وَتَضَعُهَا عِنْدَ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ.. بَلْ وَفِي طَرِيقِهِ أَيْضًا.. كَانَتْ تَسْعَدُ





كَثِيرًا كُلَّمَا أَحَسَّتْ أَنَّ الشَّوْكَ سَيَعُوقُ طَرِيقَهُ وَيُلْحِقُ بِهِ الأَذَى.. كَانَتْ حَرِيصَةً عَلَى فِعْلِ ذَلِكَ كُلَّ يَوْمٍ.. لَكِنَّ اللهَ ﷻ كَانَ يَحْفَظُ نَبِيَّهُ ﷺ، ويُسَلِّمُ طَرِيقَهُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ..حَتَّى نَزَلَ قُرْآنٌ فِي حَقِّهَا يُتْلَى إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

الْتَقَى قَلْبُ أُمِّ جَمِيلٍ حَمَّالَةِ الحَطَبِ بِقَلْبِ زَوْجِهَا أَبِي لَهَبٍ عَلَى شِدَّةِ كُرْهِهِمَا لِلنَّبِيِّ ﷺ.. فَوَضَعَ أَبُولَهَبٍ يَدَهُ فِي يَدِ كُفَّارِ مَكَّةَ لِلتَّخَلُّصِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَدَعْوَتِهِ، وَلَمْ تَأْخُذْهُ العَاطِفَةُ أَوِ الشَّفَقَةُ لَحْظَةً وَاحِدَةً نَحْوَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ ابنُ أَخِيهِ.. كَانَ يُحَرِّكُهُ شَيْطَانُهُ، وَشِدَّةُ طَمَعِهِ، وَتَعَلُّقُهُ بِالدُّنْيَا الفَانِيَةِ.. وَلَمْ يَقْتَدِي بِأَخِيهِ أَبِي طَالِبٍ سَيِّدِ مَكَّةَ، فَهُوَ بِرَغْمِ أَنَّهُ كَافِرٌ مِثْلُهُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَمْنَعُ كُفَّارَ مَكَّةَ مِنْ إِيذَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَقُومُ بِحِمَايَتِهِ وَالدِّفَاعِ عَنْهُ.

لَمَّا نَادَى النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ مِنْ فَوْقِ جَبَلِ الصَّفَا فِي بِدَايَةِ الدَّعْوَةِ لِيُعْلِنَ لَهُمْ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَزَمْجَرَ أَبُولَهَبٍ بِكُلِّ غَضَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ.. أَلِهَذَا



جَمَعْتَنَا؟! نَزَلَتْ سُورَةُ الْـمَسَدِ تَصِفُ مَا سَيَئُولُ إِلَيْهِ حَالُ أَبِي لَهَبٍ وَزَوْجَتِهِ أُمِّ جَمِيلٍ حَمَّالَةِ الحَطَبِ، فَمَصِيرُهُمَا نَارُ جَهَنَّمَ وَلَبِئْسَ الْـمَصِيرُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ. مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ. سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ. وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ. فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾.



أَمْسَكَتْ حَمَّالَةُ الحَطَبِ بِحَجَرٍ وَرَاحَتْ تَبْحَثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لِتَقْذِفَهُ بِهِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْلِسُ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَسَأَلَتْ أَبَا بَكْرٍ: أَيْنَ صَاحِبُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ وَحَقُّ الآلِـهَةِ لَوْ رَأَيْتُهُ لَرَمَيْتُهُ بِهَذَا الحَجَرِ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ يَهْجُونِي. كُلُّ ذَلِكَ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَجْلِسُ أَمَامَهَا، لَكِنَّ اللهَ أَخَذَ بَصَرَهَا عَنْهُ. وَلَقَدْ حَرَصَتْ عَلَى جَمْعِ الشَّوْكِ وَحَمْلِهِ؛ لِتَضَعَهُ كَعَادَتِهَا فِي طَرِيقِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَمَامَ بَابَ بَيْتِهِ حَتَّى أَصَابَهَا الْـمَرَضُ.. وَمَاتَتْ عَلَيْهَا لَعْنَةُ اللهِ.

